

الزخرفة المنسوجة كنسق دلالي:

(مقاربة رقمية لفهم الرموز الثقافية في التراث النسيجي الجزائري)

Woven Ornamentation as a Semiotic System: A Digital Approach to Cultural Symbolism in Algerian Textile Heritage

جمال عناق*، أستاذ تعليم عالي، قسم علم الاجتماع، جامعة الشيخ العربي التبسي، الجزائر،

. djamel.annak@univ-tebessa.dz

تاريخ النشر: 2026/06/30

تاريخ القبول: 2026/06/20

تاريخ الاستلام: 2026/05/20

ملخص:

يمثل التراث النسيجي التقليدي أحد أبرز تجليات الثقافة المادية، حيث تتجاوز الزخرفة فيه بعدها الجمالي لتشكل نسقا دلاليا بصريا يعكس المخيال الاجتماعي والقيم الثقافية للمجتمع المحلي. وفي هذا الإطار، تبرز الزخارف المنسوجة في الشرق الجزائري بوصفها لغة غير منطوقة تحمل شيفرات رمزية تتجسد في الأشكال والألوان والتقنيات.

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية مفادها: كيف يمكن إعادة قراءة الزخرفة النسيجية باعتبارها نظاما دلاليا، وكيف يمكن توظيف التقنيات الرقمية في تحليل بنائها الرمزية؟ وتهدف إلى تفكيك هذه الزخارف بوصفها خطابا بصريا، وإبراز علاقتها بالمخيال الاجتماعي، مع اقتراح تصور منهجي لإدماج تقنيات الذكاء الاصطناعي، خاصة في التعرف على الأنماط وتحليل الصور.

تعتمد الدراسة على مقاربة أنثروبولوجية تأويلية مدعمة بالتحليل السيميائي، انطلاقا من معطيات ميدانية محلية. وتخلص إلى أن الزخرفة النسيجية تمثل نظاما رمزيا قائما بذاته، وأن المقاربات الرقمية تتيح إمكانيات جديدة لفهمه وحفظه ضمن سياق معرفي معاصر.

كلمات مفتاحية: التراث النسيجي؛ الزخرفة التقليدية؛ المخيال الاجتماعي؛ الذكاء الاصطناعي؛ التحليل السيميائي.

Abstract:

Traditional textile heritage represents a key expression of material culture, where ornamentation extends beyond aesthetics to form a visual semiotic system reflecting the social imaginary and cultural values of local communities. In this context, woven motifs in Eastern Algeria function as a non-verbal language encoding symbolic meanings through shapes, colors, and techniques. This study addresses the question: how can textile ornamentation be reinterpreted as a semiotic system, and how can digital technologies contribute to analyzing its symbolic structures? It aims to deconstruct woven motifs as visual discourse, examine their relation to the social imaginary, and propose a methodological framework integrating artificial intelligence techniques, particularly pattern recognition and image analysis.

The research adopts an interpretive anthropological approach supported by semiotic analysis, based on local ethnographic data. It concludes that textile ornamentation constitutes an autonomous symbolic system, and that digital approaches offer new opportunities for its interpretation and preservation within contemporary knowledge frameworks.

Keywords: Textile heritage; Ornamentation; Social imaginary; Artificial intelligence; Semiotics.

مقدمة

يشكّل التراث الشعبي المادي أحد أهم المداخل المعاصرة لفهم البنيات العميقة للثقافة، باعتباره الحامل الملموس للذاكرة الجماعية، والمرآة التي تنعكس من خلالها تمثيلات المجتمع لذاته وللعالم من حوله. ولا تقتصر أهمية هذا التراث على وظيفته النفعية أو الجمالية، بل تتجاوز ذلك ليغدو نسقاً رمزياً متكاملًا، تُشَقَّر من خلاله القيم والتصورات والمعتقدات التي تشكل المخيال الاجتماعي للجماعات البشرية.

وفي هذا السياق، يبرز النسيج التقليدي - خاصة في البيئات ذات الطابع الرعوي - بوصفه أحد أكثر أشكال التعبير الثقافي كثافةً، حيث يتداخل فيه البعد التقني مع البعد الرمزي، ويتحول من مجرد نشاط معاشي إلى ممارسة ثقافية حاملة للدلالات. فالمنتج النسيجي لا يُحتزل في كونه مادة للاستعمال اليومي، بل يمثل خطاباً بصرياً يعكس علاقة الإنسان ببيئته، ويجسد أنماط تفكيره وتصوراته للعالم.

وتُعد الزربية التقليدية في الشرق الجزائري نموذجاً دالاً على هذا التداخل، إذ تتجسد فيها منظومة معقدة من الرموز اللونية والشكلية، التي لا يمكن فهمها خارج سياقها الثقافي والاجتماعي. فهي، في جوهرها، لغة غير منطوقة، تُترجم من خلالها الجماعة مخزونها الثقافي والتاريخي، وتُعيد إنتاجه عبر الأجيال، ضمن ما يمكن تسميته بـ "التشفير الثقافي" للتراث المادي.

غير أن الدراسات التي تناولت هذا النوع من التراث ظلت - في كثير من الأحيان - حبيسة المقاربات الوصفية أو الفهرسية، حيث ركزت على الجوانب الشكلية والتقنية، وأغفلت أبعاده الرمزية والدلالية العميقة. وهو ما يستدعي إعادة النظر في طرق مقارنة هذا التراث، من خلال توظيف مناهج تحليلية قادرة على استنطاق معانيه الكامنة، والكشف عن بنياته الثقافية.

وانطلاقاً من ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى إعادة قراءة الزخرفة النسيجية بوصفها نسقاً دلاليًا بصرياً، يجمع بين البعدين الجمالي والرمزي، مع محاولة استشراف إمكانات المقاربات الرقمية الحديثة - وعلى رأسها تقنيات الذكاء الاصطناعي - في تحليل هذا النسق وفهم بنياته. ويأتي هذا التوجه في إطار مقارنة متعددة التخصصات، تربط بين الأنثروبولوجيا التأويلية والعلوم الرقمية، بهدف تجاوز حدود القراءة التقليدية للتراث نحو آفاق تحليلية جديدة.



وعليه، فإن هذه المداخلة تندرج ضمن الجهود الرامية إلى إعادة الاعتبار للتراث النسيجي بوصفه وثيقة ثقافية قائمة بذاتها، قابلة للتحليل والتأويل، ومؤهلة في الوقت ذاته للاندماج ضمن التحولات الرقمية المعاصرة.

1.. إشكالية الدراسة وأهدافها:

1.1.. إشكالية الدراسة:

يندرج التراث النسيجي التقليدي ضمن الحقول المعرفية التي تتطلب مقاربات تحليلية تتجاوز الوصف السطحي نحو تفكيك البنى الرمزية الكامنة فيه، باعتباره نسقا ثقافيا مشفرا يعكس المخيال الاجتماعي وأنماط التفكير الجماعي. وفي هذا السياق، تشير العديد من الدراسات الأنثروبولوجية إلى أن الثقافة المادية لا تُفهم في بعدها الوظيفي فحسب، بل في قدرتها على إنتاج المعنى وإعادة تشكيله داخل النسق الاجتماعي (Geertz, 1973, p. 10). وعلى هذا الأساس، تبرز الزخرفة النسيجية بوصفها خطابا بصريا يتضمن رموزا ودلالات تتجاوز ظاهرها الجمالي، حيث تمثل الأشكال والألوان والتقنيات المستخدمة حوامل لمعان اجتماعية وثقافية متجذرة في التجربة الجماعية. وقد بينت الدراسات المحلية حول النسيج التقليدي أن هذه العناصر لا تُنتج بشكل اعتباطي، بل تنبثق من منظومة تصورية متكاملة تشكل ما يُعرف بالمخيال الاجتماعي (Durand, 2006, p. 21).

غير أن الإشكال المطروح يتمثل في أن أغلب المقاربات التي تناولت التراث النسيجي بقيت حبيسة الطرح الوصفي أو الإثنوغرافي التقليدي، دون أن تتجه نحو تحليل النسق الرمزي بوصفه نظاما دلاليا قائما بذاته. كما أن هذه الدراسات لم تستثمر الإمكانيات التي تتيحها الأدوات الرقمية الحديثة، خاصة تقنيات الذكاء الاصطناعي، في تحليل الأنماط الزخرفية وفهم بنياتها العميقة.

وعليه، يمكن صياغة الإشكالية المركزية لهذه الدراسة على النحو التالي: كيف يمكن قراءة الزخرفة النسيجية التقليدية باعتبارها نسقا دلاليا بصريا يعكس المخيال الاجتماعي، وكيف يمكن توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في تحليل بنياتها الرمزية وإعادة تأويلها؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- ما طبيعة البنية الرمزية التي تحكم الزخرفة النسيجية التقليدية؟

- كيف تتجلى علاقة الأشكال والألوان بالمخيال الاجتماعي المحلي؟

- إلى أي مدى يمكن اعتبار الزخرفة النسيجية "لغة غير منطوقة"؟

- ما إمكانات توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في تحليل الأنماط الزخرفية؟

2.1.. أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية التي تتكامل فيما بينها ضمن مقارنة متعددة التخصصات، ويمكن إجمالها فيما يلي:

1. تفكيك البنية الرمزية للزخرفة النسيجية: من خلال تحليل الأشكال والألوان والتقنيات باعتبارها عناصر دلالية تعكس منظومة ثقافية متكاملة، وهو ما يتقاطع مع الطرح الأنثروبولوجي الذي يرى في الرموز أدوات لتجسيد المعنى داخل الثقافة. (Cassirer, 1944.p 44)

2. الكشف عن علاقة الزخرفة بالمخيال الاجتماعي: وذلك عبر إبراز كيف تُجسد الزخرفة النسيجية التصورات الجماعية والقيم الثقافية، بوصفها نتاجاً لتفاعل الإنسان مع محيطه الطبيعي والاجتماعي (Durand, 2006, P 38).

3. إعادة تأطير الزخرفة النسيجية كوثيقة بصرية: أي الانتقال من النظر إليها كمنتج مادي إلى اعتبارها نصاً بصرياً قابلاً للقراءة والتحليل، في إطار ما يسمى بالأنثروبولوجيا التأويلية. (Geertz, 1973. P 10)

4. اقتراح مقارنة رقمية لتحليل الزخرفة: من خلال استشراف إمكانات توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي، خاصة في مجالات التعرف على الأنماط (Pattern Recognition) وتحليل الصور

(Image Analysis)، بما يسمح بفهم أكثر دقة للبنى الزخرفية. (Manovich, 2020. P 45)

5. المساهمة في ترمين التراث الثقافي المحلي: عبر تقديم قراءة علمية حديثة تسهم في حفظ التراث النسيجي وإعادة إدماجه ضمن السياقات الرقمية المعاصرة، خاصة في ظل التحديات التي تهدد استمراره (عبادة، 2010، ص 18).

2.. الإطار المفاهيمي والنظري (Conceptual & Theoretical Framework):

1.2.. التراث المادي كنسق دلالي:

يشكل التراث الشعبي المادي أحد الحقول المركزية في الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة، حيث لم يعد يُنظر إليه باعتباره مجرد بقايا مادية للماضي، بل كنسق دلالي يعكس أنماط التفكير والتمثيلات الثقافية للمجتمعات. فالمنتجات المادية، بما تحمله من تقنيات وأشكال، تُعدّ وسائط رمزية تُسهم في إنتاج المعنى داخل

النسق الاجتماعي. (Appadurai, 1986)



وفي هذا السياق، تشير الدراسات إلى أن الحرف التقليدية، ومنها النسيج، تمثل نقطة التقاء بين البعدين التقني والثقافي، حيث تتحول الممارسة التقنية إلى فعل تعبري يعكس خصوصية البيئة الاجتماعية. وقد أبرز هذا البعد في الدراسات المحلية التي تناولت النسيج التقليدي، حيث يُنظر إليه كجزء من الثقافة المادية التي تحمل دلالات تتجاوز الوظيفة النفعية (عبادة، 2010، ص 27).

وعليه، فإن التراث النسيجي لا يمكن اختزاله في كونه منتجا اقتصاديا أو تقنيا، بل ينبغي مقارنته كنظام دلالي تتداخل فيه الرموز والمعاني، وهو ما يفتح المجال أمام تحليله ضمن إطار سيميائي وأثنوبولوجي.

2.2.. مفهوم المخيال الاجتماعي:

يُعدّ مفهوم المخيال الاجتماعي من المفاهيم المحورية في تحليل الظواهر الثقافية، حيث يشير إلى تلك المنظومة من التصورات والرموز التي تنتجها الجماعة وتُسهّم في تنظيم إدراكها للعالم. فالمخيال ليس مجرد انعكاس للواقع، بل هو آلية لإعادة بنائه وتأويله ضمن إطار ثقافي خاص.

وفي الدراسات الأثنوبولوجية، يُنظر إلى المخيال الاجتماعي باعتباره البنية العميقة التي تنتظم داخلها الرموز والدلالات، والتي تتجلى في مختلف أشكال التعبير الثقافي، بما في ذلك الفنون الشعبية. وقد تم التأكيد في الدراسات المحلية على أن الزخارف النسيجية تُعدّ تجسيدا مباشرا لهذا المخيال، حيث تعكس الأشكال والألوان تصورات الجماعة عن الكون والحياة (الجابري، 1991، ص 98).

كما أن المخيال الاجتماعي لا ينفصل عن السياق التاريخي والبيئي، بل يتشكل من خلال التفاعل المستمر بين الإنسان ومحيطه، وهو ما يجعل الرموز الثقافية مرتبطة بخصوصية كل مجتمع.

3.2.. الرمز والزخرفة بوصفهما لغة بصرية:

يُعدّ الرمز من المفاهيم الأساسية في الأثنوبولوجيا التأويلية، حيث يمثل الوسيط الذي من خلاله تُنقل المعاني داخل الثقافة. ويرى غيرتز أن الثقافة نفسها يمكن فهمها كنظام من الرموز التي يتعين على الباحث تأويلها لفهم المجتمع. (Geertz, 1973)

وكما يرى جان بول سارتر فالرمز هو مستوى أقل من المفاهيم المجردة لأنه يكون عادة مرتبطا بشيء ملموس يمكن رؤيته أو تحيّل به بسهولة. فالرمز ليس فكرة عامة، بل صورة أو مثال محسوس يعبر عن معنى أعمق.

إذن فالرمز يبدأ كصورة غنية بالمعاني، لكنه مع الزمن قد يفقد عمقه ويتحوّل إلى مجرد علامة عادية، بينما تبقى النماذج الأولية أكثر ثباتاً وعمقا. (Alberto, 2023, p208).

LA CONCEPTION DU MYTHE DANS L'ŒUVRE DE GILBERT DURAND. Volume 14 – Numéro 34 DOSSIÊ ESPECIAL: Os estudos do Imaginário no Brasil, homenagem à Profa. Dra. Danielle Perin Recife, v. 14, n. 34, jan./jun. 2023, p. 195-232

Esta obra está licenciada sob uma licença Creative Commons

Enviado: 11-2022 * Aprovado: 05-2023

وفي هذا الإطار، تمثل الزخرفة النسيجية شكلاً من أشكال التعبير الرمزي، حيث تتحول الأشكال الهندسية والألوان إلى عناصر دلالية تحمل معاني اجتماعية وثقافية. فالرموز ليست اعتباطية، بل تنتمي إلى نظام دلالي مشترك داخل الجماعة، يتم تعلمه وتداوله عبر الأجيال. وقد أظهرت الدراسات الميدانية أن الزخرفة النسيجية في البيئة المحلية تُعدّ "لغة غير منطوقة"، تُستخدم للتعبير عن القيم والمعتقدات، حيث يقوم الحرفي – من خلال عملية النسيج – بإنتاج خطاب بصري يعكس رؤيته للعالم (عبادة، 2010، ص 157). ومن هذا المنطلق، يمكن اعتبار الزخرفة النسيجية نصّاً بصريّاً قابلاً للقراءة، يعتمد على نظام من العلامات التي تتطلب تفكيكها وفهم سياقها الثقافي.

4.2.. نحو مقارنة رقمية للتراث الرمزي:

في ظل التحولات الرقمية المعاصرة، برزت الحاجة إلى تطوير أدوات جديدة لتحليل التراث الثقافي، خاصة في مجالات تتسم بالتعقيد الرمزي مثل الزخرفة النسيجية. وقد أتاح تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي إمكانيات متقدمة في تحليل الصور والتعرف على الأنماط، مما فتح آفاقاً جديدة لدراسة الأنظمة البصرية (Manovich, 2020, p. 24) Manovich, Lev. Cultural Analytics. Cambridge, MA: MIT Press, 2020.

وتتمثل أهمية هذه المقاربة في قدرتها على الانتقال من التحليل الوصفي إلى التحليل البنيوي، حيث يمكن استخدام الخوارزميات لاستخراج الأنماط المتكررة، وتصنيف الزخارف، وربطها بسياقاتها الثقافية. وبالنظر إلى أن الزخرفة النسيجية تمثل نظاماً بصريّاً منظماً، فإن إدماج هذه التقنيات يمكن أن يسهم في بناء قاعدة بيانات رقمية للرموز، وتحليل العلاقات بين عناصرها، مما يعزز فهمنا للبنية الدلالية لهذا التراث.



(Gombrich, 1979, p. 72) Gombrich, E. H. The Sense of Order: A Study in the Psychology of Decorative Art. Oxford: Phaidon Press, 1979.

وبذلك، فإن الجمع بين الأنثروبولوجيا التأويلية والتقنيات الرقمية يتيح مقاربة جديدة لدراسة التراث،

تتجاوز حدود المناهج التقليدية نحو تحليل أكثر عمقاً وشمولية.

3.. المنهجية المعتمدة (Methodology):

1.3.. طبيعة الدراسة:

تندرج هذه الدراسة ضمن البحوث الكيفية (Qualitative Research)، التي تهدف إلى فهم الظواهر الثقافية من خلال تحليل المعاني والدلالات، بدل الاقتصار على القياس الكمي. ويستند هذا التوجه إلى الطرح الأنثروبولوجي الذي يعتبر أن الحقيقة الاجتماعية تُبنى من خلال التأويل والفهم، لا من خلال الأرقام المجردة. وفي هذا السياق، تم اعتماد مقاربة تأويلية تسعى إلى استنطاق الزخرفة النسيجية باعتبارها نسقا رمزيا بصريا، يتطلب فهمه العودة إلى السياق الثقافي والاجتماعي الذي أنتجه. وهو ما يتوافق مع طبيعة المادة المدروسة، التي تندرج ضمن الثقافة المادية ذات البعد الرمزي (عبادة، 2010، ص 161).

2.3.. المناهج المعتمدة:

نظراً لتعقيد الموضوع وتداخله بين عدة حقول معرفية، فقد تم اعتماد مقاربة متعددة المناهج، تقوم على

التكامل بين الأدوات الأنثروبولوجية والسيميائية، وذلك على النحو التالي:

1.2.3.. المنهج الأنثروبولوجي التأويلي:

يُعدّ هذا المنهج الإطار العام للدراسة، حيث يهدف إلى فهم المعاني الثقافية الكامنة وراء الظواهر، انطلاقاً من تحليل الرموز والممارسات داخل سياقها الاجتماعي. ويستند هذا التوجه إلى أعمال غيرتز، الذي يرى أن الثقافة "نص" ينبغي تأويله (Geertz, 1973, p. 5)

وقد تم توظيف هذا المنهج في قراءة الزخرفة النسيجية باعتبارها خطاباً بصرياً يعكس المخيال

الاجتماعي المحلي، حيث لا يمكن فهم دلالاتها إلا في ضوء السياق الثقافي الذي تنتمي إليه.

2.2.3.. المنهج السيميائي (تحليل الرموز):

يُستخدم المنهج السيميائي لتحليل الزخرفة بوصفها نظامًا من العلامات، حيث يتم تفكيك الأشكال والألوان والعناصر البصرية إلى وحدات دلالية. ويرتكز هذا المنهج على اعتبار أن كل عنصر زخرفي يحمل معنى يتحدد من خلال علاقته ببقية العناصر داخل النسق (Barthes, 1967, p. 39). وقد أظهرت المعطيات الميدانية أن الرموز الزخرفية في النسيج التقليدي ليست عشوائية، بل تنتمي إلى منظومة دلالية تعكس تصورات المجتمع، سواء في بعدها الجمالي أو الاعتقادي (عبادة، 2010، ص 143).

3.2.3.. المنهج الوصفي التحليلي:

تم توظيف هذا المنهج في وصف الخصائص التقنية والجمالية للزخرفة النسيجية، قبل الانتقال إلى تحليل دلالاتها الرمزية. حيث يسمح الوصف الدقيق للعناصر البصرية بفهم بنيتها، ومن ثم تأويل معانيها ضمن سياقها الثقافي.

وقد تم الاعتماد في هذا الجانب على المعطيات التفصيلية المتعلقة بالأدوات والتقنيات والسلاسل الإجرائية للنسيج، بوصفها عناصر أساسية في فهم المنتج النهائي.

4.2.3.. المنهج المقارن:

يهدف هذا المنهج إلى إبراز خصوصية الزخرفة النسيجية المحلية، من خلال مقارنتها بأنماط زخرفية أخرى ضمن السياق المغاربي أو الأوسع. ويساعد هذا التوجه في تمييز ما هو محلي خاص عما هو مشترك ثقافيًا، وهو ما يعزز فهم البنية الرمزية للزخرفة.

3.3.. أدوات جمع وتحليل البيانات:

اعتمدت الدراسة على مجموعة من الأدوات البحثية التي تتلاءم مع طبيعتها الكيفية، من أبرزها:

- تحليل المحتوى الرمزي: من خلال تفكيك العناصر الزخرفية إلى وحدات دلالية .
- الملاحظة التحليلية: اعتمادًا على المعطيات الوصفية الواردة في الدراسات الميدانية .
- الاستقراء التأويلي: للانتقال من المعطيات الجزئية إلى بناء تصور عام حول النسق الرمزي .

وقد استندت هذه الأدوات إلى ما ورد في الدراسات المحلية التي اعتمدت تقنيات مثل الملاحظة بالمشاركة والمقابلات في جمع المادة الميدانية، مما يوفر قاعدة بيانات غنية للتحليل.



4.3.. نحو إدماج المقاربة الرقمية:

في إطار تطوير أدوات التحليل، تقترح هذه الدراسة إدماج مقاربة رقمية قائمة على تقنيات الذكاء

الاصطناعي، خاصة في مجال:

• التعرف على الأنماط (Pattern Recognition)

• تحليل الصور (Image Analysis)

• التصنيف البصري للزخارف

وتكمن أهمية هذه المقاربة في قدرتها على معالجة كميات كبيرة من البيانات البصرية، واستخراج

العلاقات بين العناصر الزخرفية، مما يسمح بفهم أعمق للبنية الرمزية. وقد أكدت الدراسات الحديثة في مجال

الإنسانيات الرقمية أن هذه الأدوات تتيح إمكانات غير مسبوقة لتحليل الأنظمة الثقافية المعقدة (Berry,

2012).

4.. التحليل الأنثروبولوجي للزخرفة النسيجية (Core Analysis):

1.4.. الزخرفة النسيجية كنظام رمزي بصري:

تُعَدُّ الزخرفة النسيجية أحد أبرز تجليات التعبير الرمزي في الثقافة المادية، حيث تتجاوز بعدها الجمالي

لتشكل نظامًا بصريًا منظمًا يحمل دلالات متعددة المستويات. فالعناصر الزخرفية لا تُنتج بشكل اعتباطي، بل

تتنتمي إلى نسق دلالي يعكس أنماط الإدراك الثقافي داخل الجماعة.

وفي هذا الإطار، يمكن فهم الزخرفة بوصفها "نصا بصريا" يتطلب قراءة تأويلية، حيث تتحول الأشكال

والألوان إلى علامات (Signs) تحمل معاني اجتماعية وثقافية، وهو ما يتقاطع مع التصور السيميائي الذي

يرى في الثقافة شبكة من الرموز القابلة للفك والتفسير. (Geertz, 1973, p. 10)

وتشير المعطيات الميدانية إلى أن الزخرفة النسيجية المحلية تقوم على تنظيم دقيق للعناصر البصرية، حيث

يتم توظيف التكرار والتوازن والتناظر لإنتاج بنية جمالية ذات طابع رمزي، تعكس في الوقت ذاته رؤية الجماعة

للعالم (Gombrich, 1979, p. 64)

شكل (1): نماذج للبنية العامة للزخرفة النسيجية

تعكس هذه النماذج التنظيم البنوي للزخرفة من حيث التناظر والتوازن، مما يؤكد طبيعتها كنظام بصري متكامل (عبادة، 2010، ص 155)



حواشي الزربية.



رقعة النجمة.



رقعة المحراب.

2.4.. الدلالات الرمزية للأشكال الهندسية:

تشكل الأشكال الهندسية أحد المكونات الأساسية للزخرفة النسيجية، حيث تتجسد في أشكال مثل المثلثات والمعينات والخطوط المتقاطعة. ولا تقتصر وظيفة هذه الأشكال على البعد الزخرفي، بل تؤدي دوراً دلالياً يعكس تصورات ثقافية عميقة.

فالأشكال الهندسية تُعدّ امتداداً للبيئة الطبيعية والاجتماعية، حيث تعكس البنية الذهنية للجماعة في تنظيم العالم وفق أشكال مبسطة ومجردة. ويشير التحليل الأنثروبولوجي إلى أن هذه الأشكال تمثل نوعاً من "الترميز البصري" الذي يُترجم التجربة الإنسانية إلى وحدات شكلية (Lévi-Strauss, 1963, p. 208) كما أن تكرار هذه الأشكال داخل النسيج يعكس فكرة الاستمرارية والانتظام، وهي قيم مرتبطة بالتصورات الجماعية حول الزمن والحياة. وقد أظهرت الدراسات الميدانية أن اختيار هذه الأشكال يتم ضمن منظومة تقليدية متوارثة، مما يعزز طابعها الرمزي. (Gombrich, 1979, p. 53)



شكل (2): الزخارف الهندسية في النسيج التقليدي

تُظهر هذه النماذج هيمنة الأشكال الهندسية والتكرار البنوي، بما يعكس نظامًا رمزيًا قائمًا على التجريد والتنميط (عبادة، 2010، ص 155)



الفراخ



دور الأس (S)



دور حصان

3.4.. الرموز اللونية وعلاقتها بالمخيال الاجتماعي:

تلعب الألوان دورا محوريا في بناء الدلالة داخل الزخرفة النسيجية، حيث لا تُستخدم بشكل عشوائي، بل تحمل معاني ترتبط بالمخيال الاجتماعي والقيم الثقافية.

فالألوان تمثل وسيلة للتعبير عن حالات وجدانية ورمزية، حيث يمكن أن ترتبط بالطبيعة (الأرض، السماء)، أو بالمعتقدات (الحماية، الخصوبة)، أو بالهوية الجماعية. ويؤكد التحليل الأنثروبولوجي أن إدراك اللون ليس كونيا، بل يخضع لتأويلات ثقافية تختلف من مجتمع لآخر (شاكر عبد الحميد، 2001 ص 297). وتُظهر المعطيات أن الألوان المستخدمة في النسيج التقليدي تخضع لمنظومة دلالية محددة، حيث يتم اختيارها وفق معايير ثقافية تعكس الذوق الجماعي والتصورات الرمزية. كما أن الجمع بين الألوان داخل الزخرفة لا يتم بشكل اعتباطي، بل يخضع لتنظيم يعكس توازناً بصرياً ودلالياً، وهو ما يمنح الزخرفة طابعها الرمزي المتكامل (شاكر عبد الحميد، 2001، ص 297).

شكل (3): النسق اللوني في الزخرفة النسيجية

تبرز هذه النماذج التوازن بين الألوان وتوزيعها داخل النسق الزخرفي، بما يعكس دلالات ثقافية مرتبطة بالمخيال الاجتماعي (عبادة، 2010، ص 155)



القروانية



الكفيلة

4.4.. الزخرفة كتجسيد للمخيال الاجتماعي:

تُعَدُّ الزخرفة النسيجية تجسيدا ملموسا للمخيال الاجتماعي، حيث تتحول من مجرد عناصر بصرية إلى تمثيلات رمزية تعكس رؤية الجماعة للعالم. فالمخيال الاجتماعي يتجلى في اختيار الأشكال والألوان، وفي طريقة تنظيمها داخل النسيج، مما يجعل الزخرفة تعبيراً عن القيم والمعتقدات التي تشكل هوية المجتمع. ويشير التحليل إلى أن هذه الرموز لا تُفهم بمعزل عن السياق الثقافي، بل تتطلب قراءة تأويلية تربط بين الشكل والمعنى (Durand, 2006, p. 38) وقد بيّنت الدراسات أن عملية النسيج نفسها تمثل فعلاً ثقافياً، حيث يقوم الحرفي بإنتاج خطاب بصري يعكس تجربته الاجتماعية، ويُعيد من خلاله إنتاج القيم الجماعية (Ingold, 2013, p. 21).



شكل (4): الزخرفة بوصفها تعبيراً عن المخيال الاجتماعي

تعكس هذه النماذج تحول الزخرفة إلى خطاب بصري يحمل دلالات ثقافية تتجاوز بعدها الجمالي نحو التعبير عن القيم الجماعية (عبادة، 2010، ص 155)



رجل غراب



أم كر عين

5.4.. نحو قراءة رقمية للنسق الزخرفي:

في ضوء التحليل السابق، يمكن اعتبار الزخرفة النسيجية نظاماً بصرياً منظماً، مما يجعلها قابلة للتحليل باستخدام الأدوات الرقمية الحديثة. فالتكرار الهندسي، والتناظر، وتوزيع الألوان، كلها عناصر يمكن رصدها وتحليلها باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، خاصة في مجالات التعرف على الأنماط وتحليل الصور. وتتيح هذه الأدوات إمكانية الانتقال من التحليل الوصفي إلى تحليل بنيوي يعتمد على استخراج العلاقات بين العناصر الزخرفية (Manovich, 2020, p. 45)، كما يمكن لهذه المقاربة أن تساهم في بناء قواعد بيانات رقمية للزخارف، وتصنيفها وفق خصائصها الشكلية والدلالية، مما يفتح آفاقاً جديدة لفهم التراث الثقافي وإعادة توظيفه في السياقات المعاصرة.

شكل (5): نماذج زخرفية قابلة للتحليل الرقمي

تمثل هذه النماذج بنية بصرية منظمة يمكن إخضاعها للتحليل باستخدام تقنيات التعرف على الأنماط، مما يدعم إمكانية دراسة الزخرفة النسيجية ضمن مقارنة رقمية (عبادة، 2010، ص 155)



نوار قريقر



رقمة اليد

5.. خاتمة:

تكشف هذه الدراسة أن الزخرفة النسيجية التقليدية لا يمكن اختزالها في بعدها الجمالي أو الوظيفي، بل تمثل نسقاً دلاليًا بصرياً معقدًا يعكس البنية العميقة للمخيل الاجتماعي. فقد أظهر التحليل أن الأشكال الهندسية والألوان لا تُستخدم بوصفها عناصر زخرفية محضة، بل بوصفها علامات رمزية تُترجم تصورات الجماعة حول الطبيعة والحياة والعلاقات الاجتماعية.

كما تبين أن عملية النسيج في حد ذاتها تتجاوز كونها نشاطاً تقنياً لتغدو ممارسة ثقافية ذات أبعاد اجتماعية وطقوسية، حيث تسهم في إعادة إنتاج القيم الاجتماعية وترسيخ الهوية الثقافية المحلية (Ingold, 2013, pp. 118–121). يمكن اعتبار الزخرفة النسيجية "لغة غير منطوقة"، تُعبّر عن خلالها الجماعة عن ذاتها، وتُؤطر رؤيتها للعالم ضمن نظام رمزي متكامل.

وعلى المستوى النظري، تؤكد نتائج الدراسة الطرح الأنثروبولوجي الذي يرى في الثقافة شبكة من الرموز القابلة للتأويل، حيث لا يمكن فهم الظواهر الثقافية إلا من خلال تفكيك بنياتها الدلالية وربطها بسياقها الاجتماعي (Geertz, 1973, p. 5). أما على المستوى المنهجي، فقد أبرزت الدراسة محدودية المقاربات الوصفية التقليدية، مقابل الحاجة إلى توظيف مناهج تحليلية متعددة، تجمع بين الأنثروبولوجيا والسميائيات. كما أظهرت الإمكانيات الواعدة للمقاربات الرقمية، خاصة تقنيات الذكاء الاصطناعي، في تحليل الأنظمة البصرية المعقدة، وهو ما يفتح آفاقاً جديدة لدراسة التراث الثقافي.



وبذلك، تخلص الدراسة إلى أن الزخرفة النسيجية تمثل نصا بصريا غنيا، يمكن قراءته وتأويله، بل وإعادة

تحليله باستخدام أدوات رقمية حديثة، بما يسهم في فهم أعمق للهوية الثقافية المحلية.

6.. النتائج الأساسية والتوصيات:

يمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة فيما يلي:

- الزخرفة النسيجية تشكل نسقا رمزيا بصريا يعكس المخيال الاجتماعي.
- الأشكال الهندسية تمثل ترميزا بصريا للتجربة الثقافية وليست مجرد عناصر زخرفية.
- الألوان تحمل دلالات ثقافية واجتماعية مرتبطة بالبيئة والمعتقدات.
- عملية النسيج تُعد ممارسة ثقافية تُسهم في إنتاج المعنى وإعادة إنتاج الهوية.
- المقاربات الرقمية، خاصة الذكاء الاصطناعي، توفر إمكانيات جديدة لتحليل التراث بشكل أعمق وأكثر منهجية.

انطلاقا من النتائج المتوصل إليها، تقترح الدراسة مجموعة من التوصيات:

- على المستوى العلمي:

- ضرورة تطوير الدراسات الأنثروبولوجية للتراث المادي من خلال الانتقال من الوصف إلى التحليل الدلالي .

- تشجيع البحوث متعددة التخصصات التي تجمع بين الأنثروبولوجيا والعلوم الرقمية .

- على المستوى المنهجي:

- اعتماد أدوات تحليل حديثة، خاصة في مجال تحليل الصور والتعرف على الأنماط .
- بناء قواعد بيانات رقمية للزخارف النسيجية، تسمح بتصنيفها وتحليلها بشكل منهجي .

- على مستوى حفظ التراث:

- توثيق الزخارف التقليدية ضمن منصات رقمية لحمايتها من الاندثار .
- دعم الحرف التقليدية من خلال إدماجها في مشاريع رقمية وثقافية معاصرة .

- على المستوى التطبيقي:

- تطوير نماذج أولية (Prototype) تستخدم الذكاء الاصطناعي لتحليل الزخارف .
- توظيف النتائج في مجالات التصميم الثقافي والصناعات الإبداعية.

7.. الببليوغرافيا:

أولاً: المراجع العربية:

1. عبادة، س. (2010). الزربية النموشية في المخيال الاجتماعي التبسي: دراسة سوسيو- أنثروبولوجية (مذكرة ماستر)، جامعة الشيخ العربي التبسي، تبسة، الجزائر.
2. أنجرس، م. (2006). منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية (ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، ط2). الجزائر: دار القصة للنشر.
3. بنكراد، س. (2003). السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها. الرباط: منشورات الزمن.
4. الجابري، م. ع. (1991). التراث والحداثة: دراسات ومناقشات. بيروت: المركز الثقافي العربي.
5. غدنز، أ. (2005). علم الاجتماع (ترجمة فايز الصباغ، ط1). بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
6. دوران، ج. (2006). الأنثروبولوجيا: أنساقها، رموزها، وأساطيرها (ترجمة مصباح الصمد، ط2). بيروت: مجد للدراسات والنشر.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

7. Appadurai, A. (1986). The social life of things: Commodities in cultural perspective. Cambridge: Cambridge University Press.
8. Barthes, R. (1967). Elements of semiology. New York: Hill and Wang.
9. Berry, D. M. (2012). Understanding digital humanities. London: Palgrave Macmillan.
10. Cassirer, E. (1944). An essay on man: An introduction to a philosophy of human culture. New Haven: Yale University Press.
11. Castoriadis, C. (1987). The imaginary institution of society. Cambridge: MIT Press.
12. Denzin, N. K., & Lincoln, Y. S. (2011). The SAGE handbook of qualitative research (4th ed.). Thousand Oaks, CA: Sage Publications.
13. Geertz, C. (1973). The interpretation of cultures. New York: Basic Books.
14. Lévi-Strauss, C. (1963). Structural anthropology. New York: Basic Books.
15. Manovich, L. (2020). Cultural analytics. Cambridge, MA: MIT Press.
16. Turner, V. (1967). The forest of symbols: Aspects of Ndembu ritual. Ithaca: Cornell University Press.